الرسالة

(٢ كورنثوس ١٦:٦–١٨؛ ١:٧)

يا إخوةُ أنتم هيكَلُ اللهِ الحيِّ كما قالَ اللهُ إنّي سأسكُنُ فيهم وأسيُر فيما بينَهم وأكونُ لهم إلهًا وهم يكونونَ لي شعبًا* فلذلكَ اخرُجوا من بينهم واعتزلوا يقولُ الربُّ ولا تَمَسّوا نَجِسًا* فأقبلَكم وأكونَ لكم أبًا وتكونونَ أنتم لي بنينَ وبناتٍ يقولُ الربُّ القدير* وإذ لنا هذه المواعِدُ أيُّها الأحبَّاء فَلنُطهِّرْ أنفُسَنا من كلّ أدناسِ الجسدِ والروحِ ونكمِلِ القداسةَ بمخافةِ الله.

الإنجيل

(متى ١٥: ٢١–٢٨)

في ذلك الزمان خرجَ يسوعُ إلى نواحي صورَ وصيدا وإذا بامرأةٍ كَنعانيَّةٍ قد خرجتْ من تلك التُخومِ وصرخَتْ إليهِ قائلةً إرحمني يا ربُّ يا ابنَ داود

دخول السيد إلى الهيكل

في اليوم الثاني من شهر شباط نحتفل بعيد دخول السيّد الى الهيكل، إذ إنّه بعد مرور أربعين يومًا على ولادة الرب يسوع بالجسد، قدّمته والدتُهُ الى هيكل الرب على حسب الناموس.

هذا العيد يُسمى باليونانية عيد اللقاء لأن فيه يلتقي سمعان الشيخ وحنّة النبية بالخلاص المنتظَر، ويهتف سمعان الشيخ: «الآن تُطلق عبدك أيها السيّد على حسب قولك بسلام، لأنّ عينيّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته أمام كلّ الشعوب». أما عند اللاتين فيُسمى عيد دخول السيّد إلى الهيكل عيد التطهير، لأن مَنْ كانت ولادتُهُ بلا دنس يُقدَّم الى الهيكل مع والدته البريئة من العيب كعلامةٍ للتطهير من دنس الولادة كما نقرأ في القراءة الأولى في صلاة الغروب: «وفي اليوم الثامن يُختن لحم غرلته، ثم تُقيم ثلاثة وثلاثين يوماً في دم تطهيرها. كلّ شيء مقدّس لا تَمسَّ وإلى المقدس لا تجيء حتى تكمل أيام تطهيرها» (لاويين ١٢: ٣–٤).

لقد قدّمت مريم ويوسف «زوج يمام أو فرخَي حمام» (لو ٢: ٢٤) للهيكل، وهذا دليل على فقر الرب يسوع لأنه لم يكن باستطاعة يوسف ومريم أن يقدّما نعجةً كما كان يفعل الميسورون. إن اليمام يرمز الى الطهارة والعذرية إذ إنه عندما يموت أحد زوجَي اليمام لا يأخذ الثاني زوجاً آخر بدلًا عنه بل يذهب الى الجبال بعيداً عن ضجيج العالم. أما الحمام فيرمز الى الوداعة، والرب يسوع هو الطاهر والوديع.

العدد ٥ / ٢٠١٧

الأحد ٢٩ كانون الثاني

نقل رفات القديس إغناطيوس الأنطاكي المتوشح بالله

اللحن السابع

إنجيل السَحَر العاشر

بحسب الناموس أيضاً يُذبح أحدُ الطيرَين ويُترك الآخر، إشارة الى طبيعتَي الرب يسوع الإنسانية والإلهية، فهو سيموت بالجسد على الصليب. أما من جهة طبيعته الإلهية فهو عادم الموت.

يقول بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين إنّ الأصغر يأخذ البركة من الأكبر (٧: ٧). لكننا نرى اليوم أن يسوع المقدَّم الى الهيكل كطفل ذي أربعين يوماً، يتقبّلُه سمعانُ الشيخ على ذراعَيه بعد طول انتظار،

ويتبارك الشيخ الكبير في السن والمتقدم في الرتبة من هذا الطفل الإلهي كما نقول في قنداق العيد: «يا من بمولدكَ أيها المسيح الإله للمستودع البتولي قدّستَ، وليدَي سمعان كما لاق باركتَ». في الشكل يظهر يسوع أنّه هو يُقدَّم الى الشيخ، لكن في الواقع نحنُ الذين قُدِّمنا إلى الله بيسوع المسيح. الطفل الذي حمله سمعان على ذراعيه ليس سوى الإله الضابط الكلّ كما نقول في صلاة السحر: «لقد تجسّدتَ كما سررت، محمولاً على ساعدَي الدائمة البتوليّة ولم تنفصل بلاهوتك عن حضن الآب، ودُفعتَ إلى يدي سمعان القابل الإله أيها الضابط البرايا بأسرها في قبضته». لقد أتت العذراء لتتطهّر من دنس الولادة فإذا بها تحمل الطهارة والعتقَ من الشرور إلى كلّ العالم.

كيف عرف سمعان الشيخ أنّ الطفل الذي بين يديه هو مسيح الرب؟ يقول الكتاب المقدس إن سمعان كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل، والروح القدس الذي كان عليه، هو الذي قاده إلى الهيكل ليستقبل يسوع. هذا الروح نفسه الذي أرسله الرب يسوع على تلاميذه يوم العنصرة، هو الذي ذكّرهم بكل تعاليمه وفتح أذهانهم ليفهموا الكتب وأعطاهم قوةً ونعمةً لينقلوا البشارة الى كلّ العالم، وهو الروح ذاته الذي حلّ على كلٍّ منا في المعمودية فغدت أجسادنا هياكل الروح القدس. لذلك، كلُّ من يبتغي أن يلتقي بالرب يسوع، يجب أن يجاهد ليكون باراً وتقياً كما كان سمعان، وأن يكون توّاقاً للقاء المخلّص. مثل هذا الإنسان يفتح له الروح القدس عينيه في الوقت المناسب فيبصر خلاص الرب ويُطلقهُ الرب بسلامٍ من رباطات خطايا هذه الحياة ليتذوّق الحياة الأبدية، الحياة بقرب الله، حتى قبل أن يموت جسديًّا.

سمعان الشيخ حمل الرب يسوع على ذراعيه لبعض الوقت فاعتبر أنّه نال مبتغاه في هذه الحياة وما عاد يشتهي أيّ أمر آخر، أما نحن الذين اعتمدنا بالمسيح فقد لبسنا المسيح ونحمله معنا في كل لحظات حياتنا. لقد أُهّلنا ليس فقط للمس المسيح، بل أيضًا للاتّحاد به في سرّ الشكر. لذلك فلنثابر على الجهاد الروحي لنحافظ على هذه النعمة لئلا نخسرها بالتهاون، عندئذ في سعينا لاقتناء المسيح في قلوبنا سنجد أنه هو من يحملنا لنعبر فوق كل مطبّات هذه الحياة ونصل إلى الميناء المنشود بسلام.

الإيمان والأعمال

«ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد إنّ له إيماناً ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلّصه» (يع٢: ١٤). هذه الآية من رسالة الرسول يعقوب تشدّد على إزدواجيّة وارتباط كلّ من الأعمال والإيمان في سبيل خلاص الإنسان. لقد شكّلت هذه الآية جدليّةً وفتحت الكثير من النقاشات اللاهوتيّة والفلسفيّة. وقد اختبرت الجماعة المسيحيّة هذا الترابط منذ انطلاق البشارة.

ساد الجماعة الأولى اهتمامٌ بالأعمال والعناية بالآخر عبر الإحسان والإفتقاد إذ كان كلّ شيءٍ مشتركاً. هذه الأعمال ارتبطت دوماً بالإيمان فكانوا كلما اجتمعوا قدّموا ممّا لهم واشتركوا في الخبز الواحد تعبيراً عن الإيمان ليكونوا واحداً في إيمانهم وأعمالهم.

فإنَّ ابنتي بها شيطانٌ يعذِّبُها جدًّا* فلم يُجِبْها بكلمةٍ. فدنا تلاميذُه وسألوهُ قائلين إصرِفْها فإنَّها تصيحُ في إثْرِنا* فأجابَ وقالَ لهم لم أُرْسَلْ إلاَّ إلى الخرافِ الضالَّةِ من بيتِ إسرائيل* فأتَتْ وسجدتْ لهُ قائِلةً أَغِثْني يا ربُّ* فأجابَ قائلًا ليس حسنًا أن يُؤخَذَ خبزُ البنين ويُلقى للكلاب* فقالتْ نعم يا ربُّ فإنَّ الكلابَ أيضًا تأكُلُ مِنَ الفُتاتِ الذي يسقطُ من موائدِ أربابِها* حينئذٍ أجابَ يسوعُ وقال لها يا امرأةُ عظيمٌ إيمانُكِ فليكُنْ لكِ كما أردتِ* فشُفيتِ ابنتُها من تلك الساعة.

تأمل

«لنطهِّر أنفسنا من كل أدناس الجسد والروح ونكمّل القداسة بمخافة الله».

إذا كانت النساء اللواتي عرفنَ قدر مواهب المسيح تركنَ بيوتهنَّ وأهلهنَّ وخَدَمْنَهُ بأنفسهنَّ وأموالهنَّ فما لي أرى الآن أناساً كثيرين يتصرّفون بعد المعمودية تصرُّف الذين لم يعتمدوا

بل أشرَّ منهم بكثير، حتى إنهم لا يتميَّزون بخصلةٍ واحدة عن الخارجين عنهم. ولهذا صار يلتبس على الناظرين الفرق بين المؤمنين بالمسيح وغيرهم لأن المؤمنين ينبغي أن يُعرَفوا من الأعمال الصالحة المشرقة أنوارها عليهم، ومن هيئاتهم وملابسهم وتصرفاتهم على الأرض من الخشوع والتواضع، ومن حديثهم في الحقائق الباقية دون الأباطيل الفانية. وهم يسيرون هذه السيرة لا لطلب المديح من الناس بل لأنها صارت لهم كالغريزة المطبوعة فيهم ولينتفع بها الناظرون. أما الآن فإني لا أفرّق بين المؤمن وغير المؤمن ولا أستطيع تمييزه عن الخارجين. كيف وبماذا أميّزك يا هذا وأنا أراك تصاحب الأشرار والفاسقين وذوي الفساد والنفاق وتطيل المكوث معهم في ملاعب اللهو والخلاعة. إن أردتَ أن أعرفك من كلامك فأراك لاهجاً بالهزل والمزاح ونقل أحاديث السفهاء والمضحكين وأصحاب

في النصف الثاني من الألفيّة الثانية قامت جماعاتٌ تنادي بالإيمان فقط سبيلًا للخلاص. جماعاتٌ قلّلت من قيمة الأعمال وفصلت بين الإثنين على خلاف التقليد الرسولي الذي تسلّمه المؤمنون في الكنيسة من أسلافهم. هذه الجماعات رفضت الربط بين الإيمان والأعمال كما رفضت المساواة بينها من حيث الأهميّة والحاجة. تجرّأ هؤلاء على رفض الآية المأخوذة من الرسول يعقوب رغم تمسّكهم الحرفي بالكتاب المقدّس. إعتبروا أنّه مهما قدّم الإنسان من أعمال، حسنةً كانت أو سيّئة، فذلك لا يؤثّر في خلاصه. الخلاص عندهم هو في الإيمان فقط. بمجرّد الهتاف «آمين» ينال الإنسان الخلاص. مبدأ لا يؤثّر فقط على علاقة أبناء الكنيسة فيما بينهم وإنّما يغيّر حياة الإنسان مع المسيح وعلاقته به. يقطع هذا المعتقد رباطنا بالتوبة وحاجتنا لها. لا تعود التوبة حاجة عند الإنسان إذا لم يكن لأعماله قيمة من حيث الخلاص وإنّما ينال الخلاص بإعلان الإيمان فقط. لن ندخل في تفاصيل الفوارق بين المعتقدين وفي تفنيد الفروقات ودراسة تاريخ الكنيسة، وإنّما سنركّز هنا على الإيمان والأعمال في رواية الكتاب المقدّس عن زكّا العشّار.

زكّا، الذي نسمع عنه (لو ١٩: ١–١٠)، كان عشّاراً كما يدلّ اسمه. عمله كان جمع الضرائب من الناس، بل كان زعيماً لهؤلاء الجباة متقدّماً بينهم. جباة الضرائب عادةً كانوا يجبون أكثر ممّا فُرض ويظلمون الناس، فكيف برئيسهم الذي عادةً ما يكون أكثر ظلماً. والظالم هو صاحب القلب القاسي الذي لا يعرف المحبّة أو الشفقة أو الرحمة. زكّا إتصف بكلّ هذه الصفات السلبيّة وهو ما يظهر من خلال كره الناس له، ويظهر من إشارة الإنجيل أنّه كان غنيّاً أي كان من الذين جمعوا ثروةً. ومن أين له الثروة إلاّ من جيوب الفقراء؟

من ناحية الإيمان كان زكّا من ملّة اليهود ولم يكن أمميّاً. يقول عنه الرب يسوع لاحقاً أنّه «أيضاً إبن ابراهيم». لقد كان لزكّا الإيمان لكن موقفه من إيمانه كان موقفاً لامبالياً فسيطرت عليه أعماله وتعلّقه بالماديّات وجمع الثروات. أهمل زكّا إيمانه الذي ورثه عن أجداده فلم يكن هذا الإيمان كافياً لخلاصه. اليهود كانوا يعتقدون أنّهم أمّةٌ مختارة وهم يملكون الخلاص الذي حجبه الله عن باقي الشعوب الذين اعتبروهم أمماً ليسوا من نسل إبراهيم الذي نال الموعد.

من ناحية الأعمال، كانت أعمال زكّا منافيةً للشريعة ومنافيةً للأخلاق الإنسانيّة، فيها من الأنانيّة وحبّ المال ما يدمّر النفس. بما أنّ التوبة هي الحدث المفصلي في حياة الإنسان الباحث عن الخلاص، كان على زكّا أن يُدرك توبته بذاته. التوبة توقظ في الإنسان إيمانه الغارق في سُبات الخطيئة. الفضول هو ما دفع زكّا بدايةً لمحاولة رؤية الرب يسوع. كانت هناك عوائق أمامه، قامته القصيرة كانت العائق الأكبر لكنّه لم يستسلم بل حاول إيجاد حلّ. هذا ما يحصل مع كلّ إنسان ساعٍ إلى التوبة. في سعيه يواجه الكثير من العوائق والشرّير يحاول ثنيه عن التوبة لذا على الإنسان ألاّ ييأس في سعيه وألاّ يظنّ يوماً أنّه نال توبةً

واكتفى بما ناله. زكّا يشكّل لنا المثال بأنّ التوبة هي مثابرةٌ في العمل ومحاولةٌ مستمرّة لبلوغ الهدف. الأعمال دونها الكثير من العوائق التي من داخل الإنسان والتي من الخارج لذا وجب عدم الإستسلام وعدم السقوط في التكاسل. يجب أن نكون واثقين بإيماننا لا أن ندفنه في أعماق نفوسنا. أعمالنا معلومةٌ عند الله الذي يرى كلّ شيءٍ ويدرك كلّ شيء. هو ينتظرنا ويبادر إلينا حالما نلتفت إليه. يقبل الأوّل كما يرحم الأخير ويبحث عن الجداء الضائعة ليعيدها إلى رعيّته. هكذا إلتفت الرب يسوع إلى زكّا حين وصل إلى الموضع حيث كان الأخير. وسط جهاده وسعيه للتقرّب من الله، وافاه الرب وكلّمه ودعاه إليه. نظر الرب إلى إيمان الرجل وعرفه. حادثة زكّا تضعنا أمام مشهد إيمانيّ حيث يوافي الرب المؤمنين به في توبتهم ليشدّد إيمانهم، إذّاك ما كان من زكّا إلاّ أن تابع أعماله المرضيّة للّه معلناً التخلّي عن نصف ثروته التي جمعها لصالح الفقراء ومعيداً كلّ ما أخذه عن غير حقّ. فيما كان الناس يعيّرون زكّا بأنّه رجلٌ خاطئ، لم يشكّل له ذلك عائقاً في متابعة مسيرة التوبة بل واكبه الرب آخذاً بيده وداخلاً بيته. هذا الإيمان الذي ورثه زكّا عن أجداده تمّ تفعيله بالأعمال التي قام بها زكّا بمؤازرة الرب يسوع. السعي نحو الله مروراً بالتوبة ومحبّة الآخر، كلّها أعمالٌ مرضيةٌ عند الله تفعّل فينا الإيمان الذي ننالـه في جرن المعموديّة حين نموت لنحيا مع المسيح.

الإيمان يأخذ رونقه وجماله في الآخر. سبيلنا إلى الآخر هي أعمالنا. بهذه الأعمال نفعّل إيماننا بالمشاركة في جسد الكنيسة لنكون واحداً في المسيح الذي هو راعي الخراف وهكذا نكون في عداد الخراف الصالحة. لا ريب أنّ الشرّير متربّصٌ بنا ليقتنص المؤمنين نحو السقوط ونحو الإعتقاد بمعتقداتٍ إيمانيّة خاطئة تدفعنا إلى السقوط. لكن المؤمن يثق بأنّ أباه الذي في السماء عطوفٌ ومدرك لخفايا القلوب، لا يتوانى عن التدّخل في أيّ وقتٍ لإرشادنا نحو ملكوت الله. مثالنا الرسول بولس الذي ظنّ أنّه يقوم بأعمالٍ حسنة لخدمة الإيمان فما كان من الرب إلاّ أن تدخّل وأرشده إلى الأعمال المرضية له التي تقود إلى الإيمان الحقّ. إذاً ليس الإيمان وحده ولا الأعمال وحدها بل الإثنان معاً يرفعان الإنسان إلى ملكوت الله.

عيد دخول السيد إلى الهيكل

في مناسبة عيد دخول السيد إلى الهيكل تقام خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأربعاء ١ شباط وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الخميس ٢ شباط في كنيسة دير دخول السيدة إلى الهيكل في الأشرفية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

الملاهي والخلاعة. وإن أردت أن أعرفك من مائدتك التي ينبغي أن تقدّم عليها ما يدفع ضرورة الجوع لا ما يُصنَع للّذات والنَهَم فأراك تهيءُ ألوان الأطعمة الشهية والأشربة اللذيذة والأواني الفاخرة قاصداً اللّذات البدنية والافتخار على الفقراء. وإذا كنت لا أعرفك من هذه الجهات كلها فقل لي من أي جهةٍ أعرفك.

... إذا كان الاصطباغ في المعمودية مع المسيح مثالاً لموتنا بالجسد وانبعاثنا بالحياة الجديدة فكيف نهتمُّ برفاهية الجسد وتنعيمه وكيف لا نسمع بولس الرسول صارخاً بنا بقولِه: «وإن كنتم قد مُتُّم مع المسيح فأميتوا الآن أعضاءَكم التي على الأرض أعني الزنى والنجاسة والشهوة الخبيثة» (كو ٣: ٥). فسبيلنا أن نهذّب ذواتنا ونتأمّل صفاتنا ونسارع إلى الإقلاع عن آثامنا ونتمسك بما يقرّبنا من ربنا الذي له المجد إلى الأبد، آمين.

القديس يوحنا الذهبي الفم